الباب الثالث

نظرة عابرة عن الآلوسي والتفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

الفصل الأول: ترجمة حياته

وهو لقب بأبي الثناء وبأبي الفضل،[١٥١] وكنيته شهاب الدين، واسمه محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي[١٥٢]البغدادي؛ ولد وتوفي في بغداد[١٥٣] النقشبندي[١٥٤]. ووصفه الزِرِكْلي في قاموسه: بـــ"الآلوسي الكبير"[١٥٥]، وكان ذلك الوصف تمييزًا له عن باقي العلماء الآلوسيين الذين انحدروا من هذه الأسرة التي اشتهر أهلها بالعلم[١٥٦]، كان مفسرا، محدثا، فقيها، أديبا، لغويا، نحويا، مشركا في بعض العلوم[١٥٧] ومن المجددين في عصره[١٥٨]. قال الذهبي: كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علاَّمة في المنقول والمعقول، فهَّامة في الفروع والأصول، مُحَدِّثاً لا

---

[١٥١] محمود السعيد الطنطاوي، منهج الآلوسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (القاهرة، بجهول المطبـــع، الطبعة ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م)، ص: ٢٠

[١٥٢] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين؛ تراجم مصنفي الكتب العربية (بيروت: موسسة الرسالة، بدون سنة الطبع)، ج: ٣ ص: ٨١٥ وآلوس قرية على الفرات قرب عانات على خمس مراحل من بغداد، وإليها نسب آل الآلوسي. أنظر نفس المرجع

[١٥٣] خير الدين الزركلي، الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢)، ج: ٧ ص: ١٧٦

[١٥٤] كونه نقشبنديا ظهر في تفسيره "روح المعاني". مثلاً، قال هو: "... يشير كلام ساداتنا النقشبندية بلغنا الله تعالى ببركاتهم" (شهاب الدين الآلوسي، روح المعاني [القاهرة: دار التوفيقية، بجهول سنة الطبع]، ج: ١ ص: ١٠٦) وقال في مكان آخر: "... كسلسلة ساداتنا النقشبندية نفعنا الله تعالى بعلومهم" (نفس المرجع، ج: ٤ ص: ٢٥٣)، وأمثال ذلك مما يدل على أنه كـــان نقشبندياً.

[١٥٥] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج: ٧ ص: ١٧٦

[١٥٦] http://www.books4all.net/showthread.php?t=١٠

[١٥٧] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج: ٣ ص: ٨١٥

[١٥٨] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج: ٧ ص: ١٧٦

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يُجارى ومفسراً لكتاب الله لا يبارى[١٥٩]. وقال أبو شهبة: هو: خاتمة المحققين، وعمدة المدققين، وإمام المفسرين[١٦٠].

مولده: ولد يوم الجمعة الموافق أربعة عشر من شعبان سنة ألف ومائتين وسبعة عشر من الهجرة – ١٤ شعبان ١٢١٧هـ – في جانب الكرخ من بغداد. وفي هذه المناسبة أنشد بعض الشعراء النبلاء:

لقد أشرق البدر السماوي من بدا ** سنا نوره عن مشرق لاح بالجود

به كمل الدين الحنيف مؤرخ ** تكملت العليا بميلاد محمود

نسبه: الآلوسي: رجل شريف النسب من سلالة الطيبين الأطهار، فمن جهة الأب ينتهى إلى الحسين بن على رضي الله عنهما. ومن جهة الأم ينتهى إلى الحسن بن على رضي الله عنهما[١٦١]. ونسبه الكامل: محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور بن محمد بن ناصر الدين بن حسين بن علي بن حسين بن كمال الدين بن شمس الدين بن محمد بن شمس الدين بن حارس بن شمس الدين بن شهاب الدين بن أبي القاسم بن أمين بن محمد بن بيدار بن عيسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد بن أحمد الأعرج بن موسى المبرقع بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ[١٦٢].

نشأته: ونشأ في بيت علم وفضل، فأبوه واحد من كبار علماء بغداد، وكان بيته كعبة للعلماء والطلاب، حيث تعقد جلسات العلم وتطرح سائله وقضاياه المختلفة في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والبيان وغيرها من

---

[١٥٩] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، بجهول سنة الطلع)، ج: ١ ص: ٢٥٠

[١٦٠] محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة: مكتبة السنة، بجهول سنة الطبع)، ص: ١٤٥

[١٦١] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٢٠

[١٦٢] الالوسي الكبير/http://ar.wikipedia.org/wiki

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

العلوم. وفي هذا الجو العلمي نشأ الصبي الصغير، وتعلقت عيناه بأبيه وهو يراه يتصدر تلك الحلقات مناقشًا ومحاورًا ومعلمًا، ويلقى من الحاضرين أسمى آيات التقدير والإعجاب، وسمت نفس الصبي إلى طلب العلم وتحصيله، وكان في نفسه استعداد عظيم للعلم، وحافظة قوية تلتهم ما تقرأه، وهمة عالية في المثابرة على المذاكرة، ولم تمض عليه سنوات قليلة حتى كان قد أتم حفظ المتون في الفقه والنحو والعقيدة والفرائض قبل أن يتم الرابعة عشرة من عمره، ولم يقتصر الآلوسي في طلب العلم على والده، بل اتجه إلى حلقات غيره من أفذاذ العلماء في عصره[١٦٣].

قال الذهبي: اشتغل – الآلوسي – بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس في عدة مدارس، وعندما قُلِّد إفتاء الحنفية، شرع يُدَرِّس سائر العلوم في داره الملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولى في الرصافة. وقد تتلمذ له وأخذ عنه خلق كثير من قاصى البلاد ودانيها، وتخرَّج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة كثيرة. وكان رحمه الله يُواسى طلبته من ملبسه ومأكله، ويُسكنهم البيوت الرفيعة من منزلة، حتى صار في العراق العَلَمُ المفرد، وانتهت إليه الرياسة لمزيد فضله الذي لا يُجحد، وكان نسيجٌ وحده في النثر وقوة التحرير، وغزارة الإملاء وجزالة التعبير، وقد أملى كثيراً من الخطيب والرسائل، والفتاوى والمسائل، ولكن أكثر ذلك – علي قرب العهد – دَرَسَ وَعَفت آثاره، ولم تظفر الأيدى إلا بالقليل منه، وكان ذا حافظة عجيبة. وفكرة غريبة، وكثيراً ما كان يقول: "ما استودعتُ ذهنى شيئاً فخانني، ولا دعوتُ فكرى لمعضلة إلا وأجابني". قُلِّد إفتاء الحنفية في السنة الثامنة والأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة المحمدية وقبل ذلك بأشهر، ولي أوقاف المدرسة المرجانية، إذا كانت مشروطة لأعلم لأهل البلد، وتحقق لدى الوزير الخطير على رضا باشا، أنه ليس فيها من يدانيه من أحد. وفي

---

[١٦٣] http://almaktabah.net/vb/showthread.php?t=٤٤٤٢٩

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

شوَّال سنة ١٢٦٣ هـ (ثلاث وستين ومائتين بعد الألف)، انفصل من منصب الإفتاء، وبقى مشتغلاً بتفسير القرآن الكريم حتى أتمه، ثم سافر القسطنطينية في سنة ١٢٦٧ هـ، فعرض تفسيره على السلطان على المجيد خان، فنال إعجابه ورضاه، ثم رجع منها سنة ١٢٦٩ هـ (تسع وستين ومائتين بعد الألف)[١٦٤].

أساتذته: أخذ العلم عن فحول العلماء الذين بصروه بدقائق الأمور فتثقف بثقافتهم الواسعة في جميع العلوم. تعلم على يد أبيه الشيخ عبد الله صلاح الدين الآلوسي، ولما توفي، تعلم على يد الشيخ على السويدي الحبر الفهامة والعالم النحرير في علوم التفسير والحديث واللغة العربية، والشيخ خالد النقشبندي العالم التقي الورع شيخ الطريقة الصوفية بالعراق. والشيخ عبد العزيز الشوافن وهو رجل من بيت علم مشهور في العراق بالعلم والأدب وكانت أسره – الشواف – أسرة فاضلة نبغ منها الكثير من العلماء والأدباء العجلاء الذين خدموا وطنهم. ولقد تقلد الشيخ عبد العزيز الشواف مناصب عديدة – آخرها – رئيس محكمة التمييز الشرعي، ثم أحيل على التقائد وعين مدرسا في جامع الأحمدية. وكان من رجال القانون والمنزلة السامية في بغداد, ومن أساتذته أيضاً العلامة أمين الحلى وعلاء الدين الموصلي مدرس الحضرة القادرية[١٦٥].

وأساتذته جميعا علماء أفاضل وفقهاء متدينون وأدباء فصحاء استقى منهم ينابع العلم واستنشق عبير الأدب واستمع إلى اتجهاتهم الفكرية وحفظ منهم الكثير، فانتفع بعلمهم وتأثر بهم وارتوى من ثقافتهم[١٦٦].

عقيدته ومذهبه الفقهي: قال الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون": وكان رحمه الله عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، سَلَفي الاعتقاد، شافعى المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يُقلِّد الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان

---

[١٦٤] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٠-٢٥١

[١٦٥] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٣٠

[١٦٦] نفس المرجع

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

رضى الله عنه، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد[١٦٧]. وقال في مكان آخر: والألوسى سَلَفي المذهب سُنِّى العقيدة[١٦٨]. وبين أبو شهبة في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير": أنه حنفي المذهب، وقال: لستُ مع الذين يقولون: إنه كان شافعيا ويقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل، فكتاب التفسير طافح بقوله: وعندنا .... ثم يسوق مذهب الحنفية[١٦٩].

فعلى الجملة كان الآلوسي حنفيَّ المذهب – كما قاله أبو شهبة – لأنه إذا نقل آراء أئمة المذاهب، قال بعبارة "عندنا" على رأي أبي حنيفة ولا يفعل ذلك على سائر آراء الأئمة، وأقرّ ذلك الذهبي في هامش الكتاب المتقدم، بقوله: هذه اللفظة: (وعندنا) تدل بوضوح على أن الآلوسي كان حنفي المذهب، وما أكثر مثل هذا التعبير في تفسيره مما يجعلنا لا نميل إلى ما نقلناه سابقاً من أنه كان شافعياً يقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل[١٧٠]. وأما عقيدته فهو سلَفي وسُنِّي العقيدة كما قاله الذهبي، ولكن هناك تسائلات في ذهن الباحث. ما المقصود بسلفي الإعتقاد بالنسبة إلى الآلوسي؟ أ هو سلف ضد الخلف كما شاع في كتب الكلام أم هو سلف وهّابِيٌّ الذي شاع منذ القرن الثامن عشر حتى الآن؟. وما المقصود بسني العقيدة بالنسبة إلى الآلوسي، هل هو – الآلوسي – سني أشعري أو سني وهَّابِيٌّ؟. ولكن إذا نلفت النظر إلى تفسيره "روح المعاني" فمن الممكن أن يقال: أن الآلوسي سني أشعري لأن تفسيره مليْءٌ بأقوال الصوفية الأشعريين، وقال بغير قليل عبارةَ "السادة الصوفية" إذا نقل أقوالهم وكثيراً مَّا ينقل في باب الإشارة أقوال أكابر الصوفية مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني وأبو حامد الغزالي والشيخ الأكبر ابن عربي وعبد الكريم الجيلي وعبد الغني النابلسي وابن الفارض وغيرهم مع اتفاقه بهم غالباً.

---

[١٦٧] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٠-٢٥١

[١٦٨] نفس المرجع: ٢٥٣

[١٦٩] محمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق، ص: ١٤٥

[١٧٠] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولا ينسى الآلوسي بعد ذكر أسمائهم الدعاء بـــ"قدس الله سره". وأما نسبته إلى السلف فليس المقصود بالسلف هو السلف الوهابِيُّ ولكن هو السلف ضد الخلف الذي شاع في علم الكلام. لكن مما ظهر من تفسيره كونه مترددًا في مسائل الأسماء والصفات بين مذهبَي السلف والخلف، فهو أحيانًا يميل إلى مذهب السلف ويقرره وينسب نفسه إليه، كما فعل عند تفسيره لصفة الحياء في قوله تعالى: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا) حيث قال: وبعضٌ – وأنا والحمد لله منهم – لا يقول بالتأويل بل يمر هذا وأمثاله – مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث – على ما جاءت ويكل علمها بعد التنْزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة[١٧١]. وفي حين آخر كان يقرر مذهب السلف والخلف ويرجح مذهب الخلف، كما فعل في صفة الاستواء في قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) حيث قال: وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب إلى الله تعالى[١٧٢]. هكذا كان الآلوسي متردداً بين مذهب السلف والخلف.

مؤلفاته: ترك الآلوسي للباحثين والدارسين ذخيرة عملية أبهرت العلماء وادهشت الأدباء. مما جعل الجميع يتساءلون؛ كيف اتسع وقته مع قلة عمره، لتأليف هذا التفسير الكبير والعدد الكثير من المؤلفات المختلفة في جميع العلوم والمعارف الدينية. وللألوسي اثنين وعشرين مؤلفا، وكلها ظاهرة من ظواهر تفكيره العميق ونبوغه الفذ، وجميعها كالماء بلون الاخاء يتجلى فيها جمال المعنى وبلاغة الكلام ودقة التعبير وحسن اختيار الألفاظ. وهي كما يلي:

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: وهو موضوع البحث الذي نحن بصدده الآن.

٢- كتاب الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإبرانية

---

[١٧١] شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار احياء التراث العربي، بدون سنة الطبع)، ج: ١ ص: ٢٠٦

[١٧٢] نفس المرجع: ج: ١٦ ص: ١٦٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٣- النفحات القدسية

٤- كشف الطرة عن الغرة

٥- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية

٦- نهج السلامة إلى مباحث الإمامة

٧- نزهة الألباب وغرائب الإغتراب في الذهاب والاقامة والاياب

٨- نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول

٩- نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام

١٠- المقامات الآلوسية

١١- حاشية على شرح القطر

١٢- بلوغ المرام

١٣- الطراز المذهب

١٤- شرح سلم المنطق

١٥- الفيض الوارد في شرح القصيدة مولانا خالد

١٦- التبيان

١٧- شرح القصيدة القادرية

١٨- شهى النغم في ترجمة شيخ الاسلام وولي النعم

١٩- شرح القصيدة الفاروقي

٢٠- الفوائد السنية

٢١- الشجرة الفاطمة

٢٢- رسالة الجهاد[١٧٣]

قال محمد السعيد الطنطاوي: وأما شعره فلم يقله إلا في أغراض خاصة، ونثره كثير جداً وهو أرقى نثر ففي عرفته اللغة في عصورها الأخيرة. وله فتاوى

[١٧٣] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٢٤٥- ٢٥٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وحواشي وتقريرات على الكتب، لو جمعت لتألف منها الكثير من الكتب. كل هذا مع انشغاله بالتدريس والإفتاء وقلة عمره، فقد عاش حوالى ثلاثة وخمسين سنة[١٧٤].

وفاته:

وقد توفي الآلوسي – رحمه الله تعالى – في يوم الجمعة الخامس والعشرين (٢٥) من ذى القعدة سنة ١٢٧٠ هـ (سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة)، ودُفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخى في الكرخ[١٧٥]. فرضي الله تعالى عنه وأنزله في أعلى عِلّيين، أمين...

الفصل الثاني: النظرة في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

المبحث الأول: خلفية كتابة تفسير روح المعاني

لخص الذهبي قصة قالها الآلوسي في مقدمة تفسيره حكايةً عن خلفية كتابة تفسير روح المعاني. قال الذهبي ما نصه: ذكر مؤلف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصغر، لم يزل متطلباً لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال خرائده، لا يرفل في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل إخوانه، وبذلك وفّقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه، وذكر أنه قبل أن يكمل سنة العشرين، شرع يدفع كثيراً من الإشكالات التى ترد على ظاهر النظم الكريم، ويتجاهر بما لم يظفر به في كتاب من دقائق التفسير، ويعلق على ما أغلق مما لم تعلق به ظفر كل ذى ذهن خطير، وذكر أنه استفاد من علماء عصره، واقتطف من أزهارهم، واقتبس من أنوارهم، وأودع علمهم صدره، وأفنى في كتابه فوائدهم حبره ... ثم ذكر أنه

---

[١٧٤] نفس المرجع: ٢٥٠

[١٧٥] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥١

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كثيراً ما خطر له أن يحرر كتاباً يجمع فيه ما عنده من ذلك وأنه كان يتردد في ذلك، إلى أن رأى في بعض ليالى الجمعة من شهر رجب سنة ١٢٥٢ هـ (اثنتين وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة)، أن الله جَلّ شأنه أمره بطي السموات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء، وخفض الأخرى إلى مستقر الماء، ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه في الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة، وذلك في عهد السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان، وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ (سبع وستين ومائتين بعد الألف)، ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر على وزير الوزراء على رضا باشا، فسمَّاه على الفور: "روح المعانى؛ في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى"[١٧٦].

المبحث الثاني: مكانة هذا التفسير من التفاسير التي تقدمته

قال الذهبي في "التفسير والمفسرون ما نصه: ثم إن هذا التفسير - والحق يقال - قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السَلَف رواية ودارية، مشتملاً على أقوال الخَلَف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوى، وتفسير الفخر الرازى، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وهو إذا نقل عن تفسير أبي السعود يقول - غالباً - : قال شيخ الإسلام. وإذا نقل عن تفسير البيضاوى يقول - غالباً - : قال القاضى، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازى يقول - غالباً

---

[١٧٦] نفس المرجع: ج: ١ ص: ٢٥٢ وانظر أيضاً: شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد اغفار (القاهرة: المكتبة التوفقية، بجهول سنة الطبع)، ج: ١ ص: ١٠- ١٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

- : قال الإمام. وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حَكَماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقّاداً مُدققاً، ثم يبدى رأيه حراً فيما ينقل، فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود، أو عن البيضاوى، أو عن أبي حيان، أو عن غيرهم. كما تراه يتعقب الفخر الرازى في كثير من المسائل، ويرد عليه على الخصوص في بعض المسائل الفقهية، انتصاراً منه لمذهب أبي حنيفة، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض مَن ينقل عنهم، انتصر له ورجَّحَه على ما عداه[١٧٧].

المبحث الثالث: طريقة الآلوسي في تفسير روح المعاني

يقرر تاريخ العلم أن تفسير الآلوسي موسوعة علمية ذاخرة بكثير من علوم الدين والدنيا. والمتتبع – كما قال محمود السعيد الطنطاوي – للألوسي في تفسيره يجده أنه صاحب منهج علمي قائم على أصول وقواعد ثابتة. فهو يسير في تفسيره للقرأن الكريم على ثلاثة طرق:[١٧٨]

الطريقة الأولى:

طريقة المتصوفة الذين يتخذون من وجدانهم وشفافية قلوبهم والهامهم وسيلة للمعرفة، ويزعمون أن للشريعة ظاهراً وباطناً ويذهبون إلى تأويلات توافق ما يعتقدون. فهم يدعون أنهم أهل المشاهدة والمكاشفة، وتظهر هذه الطريقة واضحة عند تفسيره بالإشارة، الذي يعقب به على عدة آيات من القرآن الكريم بطريقة خاصة لأرباب السلوك. وقد أكثر منها في التفسير.

الطريقة الثانية:

طريقة السلف، وهي التفسير بالمأثور. فقد كان سلفي الاعتقاد، ولذلك نجده استشهد بالحديث النبوي الشريف في كثير من المواضع وملأ تفسيره بالأحكام الشرعية والآراء الفقهية لأئمة المذاهب الفقهية، وتعقب السلف وأورد

---

[١٧٧] نفس المرجع: ٢٥٢-٢٥٣

[١٧٨] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٤٤

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

آراءهم ومذاهبهم وفتاواهم. ونصر مذهب السلف، المذهب الأسلم والأحكم والأرجح. ولكنه غالبا كان ينصر مذهبه الذي يفتى عليه بعد ما تقلد منصب الإفتاء الحنفية، وهو مذهب الحنفي، ويؤيده ببراهين وأدلة من عنده. وكان يتتبع في التفسير بالمأثور ما قيل في عصر النبوة وعصر الصحابة رضي الله عنهم. وكان أيضا يحقق ويدقق في أسباب النزول للقرآن الكريم.

الطريقة الثالثة:

طريقة المتكلمين، وهم أهل الرأي والإجتهاد واستفراغ الوسع، للنظر في أساليب القرآن وما اشتمل عليه من اعجاز لا يتطاول إليه البشر.

المبحث الرابع: منهج الآلوسي في تفسير روح المعاني

قبل إيراد منهج الآلوسي في تفسير القرآن الكريم تفصيلاً، من الحسن هنا إيراد ما قاله الفاضل بن عاشور في وصف منهج الآلوسي، ونصه[١٧٩]: فسلك – الآلوسي – فيه مسلك التفسير اللغوي: يهتم أولاً ببيان موقع المفرد، أو المركب من جملة الكلام، معتمداً على قواعد الإعراب واستعمالات البلاغة ومعتصماً بانسجام المعاني وتسلسل الأغراض. ويخطط بذلك منهجه لاستخراج المعنى المراد، معتمداً على الشواهد، إلا انه يغرق إغراقاً قد يسرف فيه في مسائل الاشتقاق والإعراب حتى يتجاوز محل البيان إلى القواعد والمباحث، من البحث اللغوي ينتقل إلى المفاد معتمداً على الأحاديث وأسباب النزول متحرياً في ذلك أكثر من الزمخشري والبيضاوي فلا يزال يتجنب الأخبار الواهية ويحرص على الإسناد المعتد به، وربما بنى بحوثه مع صاحب الكشاف على الاستناد إلى نقد الأسانيد.

وفي تحصل المفاد القرآني يحرص على إيراد الأنظار الأصلية والفرعية، فيناقش الاستدلالات ويتعقب الأقوال ويعتمد على مقابلة الرأي بالرأي، ممسكاً في الغالب بما في تفسير الطبرسي من محامل غير سنية ليناقشها بقواعد الأصول

---

[١٧٩] محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله (الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثامنة والعشرون – الكتاب الثاني ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص: ١٦٥-١٦٨

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ومقتضيات التراكيب البلاغية، وآخذاً على الإمام فخر الرازي تمسكه بنصرة مذهب الشافعي، فيناقش كلامه بما للفقهاء والأصوليين من الحنفية في تلك المسائل من أنظار في رد حجج الشافعية ومناقضتها أو متجنباً طريقة الرازي في ترجيح مذهب الأشعري، آخذاً بترجيح مذهب السلف.

وهو في كل هذه المباحث يجري في مجال واسع من الأنظار والمعارف حتى أنه كثيراً ما ينشد الشعر الفارسي من مثنوي جلال الدين الرومي، أو من ديوان المولى جامي وكثيراً ما يخوض المباحث الفلسفية أو الرياضية أو الطبيعية لمناقضة المذاهب غير الإسلامية، معتمداً في ذلك على أحدث ما انتهت إليه المعارف في بيئته، ونازعاً في ذلك المنازع العجيبة في الاستدلال، حتى أنه استند إلى حدثان اكتشاف أمريكا في تفسير قوله تعالى ، في سورة الإسراء: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا[١٨٠]).

فبعد أن قرر نظرية نجاة أهل الفترة ممن لم تبلغهم رسالة الرسل، وما عليه المتقدمون من أن ذلك لا يكاد يوجد قال: "وقيل بوجوده في أمريكا، وهي المسماة بيبي دنيا قبل أن يضفر بها في حدود الألف بعد الهجرة كريستوفر المشهور بـــ " كولومبوس "، فإن أهلها على ما بلغنا إذ ذاك لم يسمعوا بدعوة رسول أصلاً".

ولقد استطاع الآلوسي أن يقيم حداً فاصلاً بين معرفته العلمية والصوفية، ومنهجيه الظاهري والباطني بعدوله عن طريقة الشيخ إسماعيل حقي في حمل النصوص القرآنية على معاني التصوف حتى تنبو بذلك أحياناً عن دلالتها اللغوية، ومحاملها الشرعية فاعتبر الآلوسي معاني الآيات هي التي تقتضيها دلالة ألفاظها وتراكيبها ومستنبطناتها للمعاني الحُكمية والحكمية التي تتناسب مع تلك الدلالات.

---

[١٨٠] الإسراء: ١٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولكنه جعل – بعد الفراغ من تفسير كل طائفة من الآيات – فصلاً خاصاً بما ذكره الصوفية في تلك الآيات من المعاني الذوقية، ومشى في ذلك على الأصل الذي قرره في القواعد التي افتتح بها تفسيره: وهي أن المعاني الصوفية أشارت إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وبذلك تحاشى الادعاء بأن المعاني الصوفية هي المقصود الأصلي، حتى يكون المعنى الظاهر غير مراد، وحكم على ذلك بأنه اعتقاد الباطنية الملاحدة، وتجنب أن يجعل تلك المعاني الصوفية تفسيراً، ناظراً إلى ما كان موجهاً على الشيخ إسماعيل حقي من الانتقاد وجعل الفصل بين هذا وذاك تنبيهاً على أن المعاني التي يصفها بأنها من باب الإشارة ليست هي مفاد التراكيب ولكنها مستفادات اختص بها الذين توصلوا إليها بطريق السلوك الصوفي على معنى أنها تستخرج زيادة على المعاني الأصلية من طريق خاص بها. انتهى

هذا ما قاله الفاضل بن عاشور في وصف منهج الآلوسي، والآتى سيورد منهجه مفصلاً الذي لخص الباحث من بحث الذهبي في "التفسير والمفسرون" ومحمود السعيد الطنطاوي في "منهج الآلوسي في روح المعاني" ومحمد ابو شهبه في "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير". فوجد منهج الآلوسي في تفسير القرآن الكريم يستمد على ثلاثة عشر خطوةً:

١– تعرضه لأسباب النُزول

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها. وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النُزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النُزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. ولذلك كان الآلوسي تعرض في مواضع كثيرة لأسباب النُزول ليقرب الفهم أو يوضح المعنى أو يقرر حكم أية[١٨١].

[١٨١] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٥٤

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٢- تعرضه لمناسبة الآيات لما قبلها

المناسبة أمر مطلوب في اللغة. وهي المشاكلة، يقال شكل الكتاب إذا قيده بالإعراب. ولذا كان أورد الآلوسي في كثير من المواضع مناسبة الآيات القرآنية لما قبلها ليزيل أشكاله والتباسه[١٨٢]. كما أنه يعني بذكر المناسبات بين الأيات كذلك يعني بإظهار وجه المناسبات بين السور[١٨٣].

٣- الإستعانة بعلم القراءات

استعان الآلوسي لفهم ما ترشد إليه الآيات بعلم القراءات فاختار في كثير من الأحايين أشهرها وأبلغها[١٨٤]. وقال الذهبي: إن الآلوسي يعرض لذكر القراءات ولكنه لايتقيد بالمتواتر منها[١٨٥].

٤- الإستدلال بالحديث النبوي

ما جاء مجملا في القرآن الكريم شرحته السنة النبوية. ولذلك استعان الآلوسي كثيراً بالأحاديث النبوية لبيان أهداف القرآن ومقاصده ومعانيه[١٨٦].

٥- الإستشهاد بالمذاهب الفقهية

كان الآلوسي عالما بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. وكانت مشاركة الآلوسي في الفقه بين المذهب الشافعي والحنفي سببا لصقل ملكته، وأعانه على ذلك ممارسته للفتوى وتوليه منصب الإفتاء الحنفي[١٨٧]. كان إذا يتكلم عن أيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه[١٨٨].

---

[١٨٢] نفس المرجع: ٥٨

[١٨٣] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٦

[١٨٤] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٨٣

[١٨٥] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٦

[١٨٦] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٦١

[١٨٧] نفس المرجع: ٦٣

[١٨٨] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٦- الإهتمام بالآراء اللغوية

اهتم الآلوسي في تفسير روح المعاني بالآراء اللغوية وتعرض كثيرا لآراء النحويين وناقش وجوه الإعراب التي ذكروها واختار أصح الآراء وأيدها. وساعده على ذلك أنه عالم بالنحو،فقد ألف في علم النحو حاشية على شرح القطر، لآراء النحويين، من أعظم ما كتب في علم النحو. فقد ناقش وجوه الإعراب ودون رأيه فيما اختاره من وجوه الإعراب وأيد ذلك بحجج وبراهين وأدلة[١٨٩].

٧- الإستعانة بعلم البلاغة والبيان

كان الآلوسي تمرس بكتب البلاغة تمرُّساً مكنه من المقارنة بين النصوص الأدبية في المعاني والتراكيب. فقد اعتنى ببلاغة القرآن أثناء تفسيره ... وذلك لكي يظهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي نزل على قوم هم فرسان البلاغة وألسنة البيان والفصاحة. لذلك كان هدف الآلوسي بعد تفسير كل آية من القرآن الكريم أن يظهر عذوبة الألفاظ القرآنية وسلامة منطوق الكلمات الربانية وروعة إعجاز الذكر الحكيم[١٩٠].

٨- الإحتكام إلى العقل في ضوء فقه اللغة

التوازن والتركيب في منهجية الآلوسي في تفسير روح المعاني، واستعمال العقل في التفسير تحت ظلال فقه اللغة العربية يعطى قوة وصلابة عند الدفاع عن الإسلام. والإمام الآلوسي كان صاحب منهج علمي متعدد الجوانب ولكنه يقوم على أصول علمية ثابتة، فقد استمد منهجه في تفسير القرآن الكريم من القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهادات الصحابة والسلف الصالح، ثم اعتمد على البحث العلمي التحليلي الذي يتابع ويحلل ويستخلص لكي يصل إلى النتيجة العلمية التي

---

[١٨٩] محمود السعيد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٦٥

[١٩٠] نفس المرجع: ٧٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

بها الفائدة، واستعان بالعقل في القضايا المنطيقية، وهدبه من ذلك الإقناع بالمنطق والحجة والبرهان مع الابداع في التصوير لكي تكون القضية مقبولة، وخاصة عند الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف، ضد أباطيل أعداء الإسلام وخرفات المنحرفين عن الدين، وشبهات الجهلاء من المسلمين. وبهذا المنهج جعل من التفسير ميدانا فسيحا للدفاع عن الدين[١٩١].

٩- الإستشهاد بالقصة

قال محمود السعيد الطنطاوي: الآلوسي أديب، والأديب دائما له ولع وشغف بكل ما يتصل بالأدب، ولا شك أن القصة لها علاقة وطيدة بالأدب. ويظهر أدب الآلوسي وبراعته في حبك القصة وافراغها في قالب روائى بديع في كتابه "سجع القمرية في ربع العمرية" فقد تناول مجتمعا صوفيا يقال له "المجتمع البكتاشى" وجعل نفسه من أبطالها ليقرب الموضوع من الواقع. وتعد هذه القصة أول قصة حياتية من نوعها تهدف إلى الاصلاح. ويقول عباس الغزوي: لقد أدخل نفسه لئلا يعد متحاملا، فكانت أرادته وهو شاب لم يغتلب عليها أمثال هؤلاء المتصوفة، فتمكن أن ينبه إلى الخطر الناجم من أغرائهم. لذلك نجده في بعض المواضع في تفسيره للقرآن الكريم - روح المعاني — يميل إلى ذكر قصة تاريخية لتوضيح ما أبهم أو لتأييد الرأي الذي يميل إليه[١٩٢].

١٠- ايراد المسائل الكونية

قال الذهبي: ومما نلاحظه على الألوسى في تفسيره، أنه يستطرد إلى الكلام في الأُمور الكونية. ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة، ويقر منه ما يرتضيه، ويُفنِّد ما لا يرتضيه[١٩٣].

---

[١٩١] نفس المرجع: ٨٥

[١٩٢] نفس المرجع: ١٠٠-١٠١

[١٩٣] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٤

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١١- الإجتناب عن الإسرائيليات

كان الآلوسي شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التى حشا بها كثير من المفسِّرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة، مع سخرية منه أحياناً[١٩٤]. قال أبو شهبة: خلا تفسيره من الاغترار بالإسرائيليات، وهو إنما ذكرها لينبه إلى اختلاقها، وبطلانها وتحذير المسلمين ولا سيما طلبة العلم وأهله من التصديق بها أو أن لها أصلا في الإسلام. ولم أعلم أحدا من المفسرين، بعد العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره، حارب الإسرائيليات، والموضوعات، مثل ما فعل الإمام الآلوسي في تفسيره، فقد أفاض في رد هذه الإسرائيليات والمختلفات[١٩٥].

١٢- الشدة على المخالفين لأهل السنة

قال الذهبي: والألوسى سَلَفي المذهب سُنِّى العقيدة، ولهذا نراه كثيراً ما يُفنِّد آراء المعتزلة والشيعة، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه[١٩٦].

١٣- إيراد التفسير الإشاري

قال الذهبي: ولم يفت الألوسى أن يتكلم عن التفسير الإشارى بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، ومن هنا عَدَّ بعض العلماء تفسيره هذا في ضمن كتب التفسير الإشارى[١٩٧].

هذا ماقاله الذهبي ومحمود السعيد الطنطاوي ومحمد أبو شهبة في وصف منهج الآلوسي في روح المعاني. وهناك "شيء أخر" لم يذكروه – حسب تتبع الباحث من كلامهم، وضعه (شيأ آخر) الباحثُ هنا كالنمرة الرابعة عشر في وصف منهج الآلوسي، وهو:

---

[١٩٤] نفس المرجع: ج: ١ ص: ٢٥٥

[١٩٥] محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة: مكتبة السنة، بدون سنة الطبع) ص: ١٤٦

[١٩٦] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج: ١ ص: ٢٥٣

[١٩٧] نفس المرجع: ٢٥٦-٢٥٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١٤ – الإعتناء بكلام الفلاسفة

اعتنى الآلوسي في تفسير روح المعاني بالآراء الفلسفية وتعرض في كثير من المواضع لآراء الفلاسفة وناقشها فرد ما لم يوفق رأيه وأيّدَ ما يوافقه بحُجج وأدلة. وهذا الإعتناء كان واضحاً في تفسيره، فما أكثر مثل التعبير "الفلاسفة" وما أكثر أسماء الفلاسفة في تقسيره. ولمزيد الخبر في ذلك الإعتناء، أنظر روح المعاني بواسطة برنامج المكتبة الشاملة.

فعلى الإختصار، من الجدير أن يقال: أن تفسير الآلوسي إذا نظر من جانب طريقة ترتيب التفسير، كان يستخدم طريق "الترتيب المصحفي" لأنه يُنظَّم حسب ترتيب السور والآيات القرآنية التي كانت في المصحف. ومن جانب طريقة الشرح و سعة البيان في التفسير، كان على منهج "التحليلي" و"المقارنة" لما فيه من البيانات التفصلية في كل آية بجانب إتيان الآراء المختلفة من أقوال العلماء والمفسرين المختلفة مذاهبهم والمُتفنِّنة ميولهم في شتى المجالات العلمية. ومن جانب المصادر المستخدمة في التفسير، كان على منهج "التفسير بالمأثور" الممتزجة بـــ"التفسير العقلي" و"التفسير الإشاري".

فهو – روح المعاني – تفسير سلَفي (التفسير بالمأثور)، خلَفي (التفسير بالرأي أو التفسير العقلي)، صوفي (التفسير الإشاري) فلسفي، فِقهي، ولُغويٌ. صح ما قال الدكتور محمد حسين الذهبي: "فروح المعاني للعلامة الآلوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة"[١٩٨].

---

[١٩٨] نفس المرجع: ٢٥٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id